خلف شوقي الداودي .. رائد الصحافة الساخرة ١٨٩٨ ـ ١٩٣٩

باسم عبد الحميد حمودي

ولد الاستاذ خلف شوقي الداودي في مدينة الديوانية عام ١٨٨٩ وكان والده ضابطاً في الجيش العثماني وكان خلف هو الثامن في سلسلة ولادات ضمت فتيات سبعاً ولهذا السبب كان والده اكثر حرصاً عليه فأبعده عن تجواله في المدن والدساكر وادخله المدرسة الرشدية في (الحلة) حيث سكن عند واحدة من شقيقاته فيما كان يجد في ايام العطل فرصة للرحيل الى مدينة (الصويرة) للتبحر في اسرار اللغة العربية على يد الشيخ قاسم القيسي مقيماً في بيت شقيقته الاخرى.

عاشر خلف شوقي الداودي والده الضابط العثماني ذا الاصول الكردية واتقن على يديه اللغة الكردية ومبادئ اللغة الفارسية.

دخل خلف شوقي دارالمعلمين ببغداد قبيل قيام الحرب العالمية الأولى فاقتيد مع بقية الطلبة في خانة الاحتياط الى ميدان القتال ليشاركوا مع الجيش العثماني في الحرب العالمية الاولى فوقع في الأسر ونقل مع غيره من الاسرى الى الهند حيث امضى سنوات قاسية ولكنه تعلم خلالها الانكليزية والأوردية وعندما انتهت الحرب عاد خلف شوقي الى البصرة حيث تولى رئاسة القسم العربي في جريدة الأوقات العراقية في البصرة لينتقل بعدها للعمل في صحافة بغداد ثم عين مفتشاً في وزارة المالية وقد اشتهر بالاستقامة والحرص على المال العام.

عرف خلف شوقي الداودي بلغته الصحفية السلسة وبقدرته على صناعة الموقف الساخر داخل العمل والابداع فيه، كما اشتهر بترجماته المتعددة عن اللغات التي يتقنها مثل ترجمته رباعيات الخيام التي لم تنتشر كاملة عن الفارسية وترجمته (قصصاً مختارة من الادب التركي).

جمع خلف شوقي مجموعة من قصصه التي كان ينشرها في جريدة الهاتف تحت عنوان (سفينة نوح) وكلف القاص الكبير جعفر الخليلي بكتابة مقدمة اعدها الخليلي لكن (سفينة نوح) لم تنشر بسبب وفاة الداودي عام ١٩٣٩,

من كتب الداودي المنشورة عدا (قصص مختارة) كتاب بعنوان (في ذكرى سعد زغلول) وكتاب للشيخ فتح الله الكعبي بعنوان (زاد المسافر) قام الداودي بتحقيقه لكن معظم مسودات كتب الداودي ضاعت بعد وفاته ومنها مجاميع من مقالاته الانتقادية وقصصه الساخرة التي لم يجمعها كتاب.

الواقعة التي دونها الباحث النقشبندي متنوعة من مذكرات الداودي ايام عمله في الاوقات البصرية.

صور من حياة وتجربة برسي كوكس الحاكم السياسي للعراق زمن الاحتلال البريطاني

أعدها : زين النقشبندي

تعد المذكرات الشخصية من أهم الوثائق التي يستفيد منها المؤرخون والباحثون في استقراء الأحداث وفي استجلاء الحقائق التي تسلّط الضوء على الكثير من خبايا الأحداث ودقائق الأمور وإذا كان الكثير مما كتب لا يروي ظمأ الباحثين عن الحقيقة التي يحاولون من خلالها رسم صورة اقرب ما تكون لما جرى من أحداث. وكما هو معلوم فان الأستاذ خلف شوقي الداودي كان شاهداً على تأسيس العراق الحديث وشاهداً على أفعال رجاله وكذلك هو احد رجال يقظته ونهضته وصحافته وتراثه وهو يعد أحد الذين لم يتم تسليط الضوء على ما قاموا به من أعمال و تركوه وما كتبوه من نتاج ، ومنها مذكراته التي ننشر منها معلومات فريدة ومهمة تكشف وتميط اللثام عن الدور التجسسي والإستخباراتي الذي كان قد لعبه الحاكم السياسي برسي كوكس قبل أن يتم احتلال العراق في أثناء الحرب العالمية الأولى .

وهذه المذكرات تعود إلى عام ١٩٢١ عندما كان الاستاذ الداودي يعمل في البصرة محرراً في جريدة الأوقات البصرية إذ يذكر عن شخص كان قد زاره طالباً مساعدته :

كان ذلك عام ١٩٢١ ...ولا أزال اذكر أن الوقت كان رابعة النهار حيث دخل علي الفراش يستأذنني بدخول (ناحوم)

- (ناحوم) ؟ ومن عساه يكون؟

- لا ادري ياسيدي وانما هو رجل مسن بلباس بدوي!

- (ناحوم) و(لباس بدوي)؟!! دعهُ يدخل...

ولم يمض على خروجي من الفراش اكثر من دقيقتين إلا ودخل علي رجل تبدو عليه علائم الصحة برغم هذه الشيخوخة التي احتلت كل عضو من أعضائه.

- أهلاً وسهلاً ...تفضل ...قلت ذلك وأشرت الى كرسي كان على مقربه مني.

- حياك الله يابيج ...قال ذلك بلهجة بدوية صحيحة مما يدل على أن الرجل يسكن مع البدو أو أنه قضى معظم أيام حياته في صحبتهم، فشرعت أجاريه في اللهجة وأتكلم مثله مقلداً اللهجة البدوية التي أحسنها حد الإجادة.

- جيف أنت؟

- بخير ياالاجي الخير.

- هات كهوه ياولد.

- تفضل جكارة.

- لا والله ماني شاربها، أنا اشرب سبيل يامحفوظ.

- قال ذلك وأخرج سبيلهُ من كيسه الذي كان محفوظاً في (عبه) وقام يملؤه بالتبغ، وكان كلما يتعمق في الحديث أزداد شوقاً لمعرفته والوقوف على ماضيه ومن أين جاءته هذه (البداوة) في العيش واللغة وهو (موسوي) كما يظهر من أسمه ...فرأيت أن احسن واسطة للوقوف على ما خفي عليّ من أمره هو أن اسأله عن حاجته وأجرّه إلى التحدث عن حاجته وأجره إلى التحدث عن ماضيه جراً من حيث ما يشعر ...فقلت له:

- أي خدمة يا ناحوم؟

- والله "ابي"- أرغب في- تكتب لي على مفتشين الكمرك ذول ما يخافون من الله، كل يوم ونهم موسكين العيال خدامك ومجزيهم الصاحب"...الله ما يكبل باللاش" خلاصة حديثه أن حضرته يرجو أن اكتب كلمة، وكنت يومها محرراً للقسم العربي لجريدة الأوقات العراقية في البصرة وأنشر نقدات يومية بتوقيع (ملا نصر الدين) المستعار انتقد فيها مفتشي الكمارك لتضييقهم على باعة الخمر، ولناحوم اولاد ثلاثة أثنان منهم يبيعان الخمرة، فقلت له: حلت البركة يابو باروخ ولكن لو تواجه مدير الكمرك وتشجيلو همك أول احسن وإذا مدير الكمرك ما أهتم أحنا حاضرين بالخدمة.

- زين تكول أي والله ، ووش تكول لو لو أوريلو خط كوكز؟!

- وشهو خط كوكز؟

- تبي شوفو الخط كوكز! تفضل؟

- قال ذلك وناولني قطعة من القرطاس السميك بقطع الربع مكتوبة باللغة الانكليزية توصية حارة من ...من السر برسي زكريا كوكس صاحب الفخامة المندوب السامي- يومئذ- في العراق (الى كل من يهمه الامر) ويقول فيها بان حامله ناحوم صديقه منذ ثلاثين عاماً ويعرفه حق المعرفة وهو مطلع اطلاعاً تاماً على شؤون البدو ويرجو مساعدته كلما احتاج الى ذلك الخ ما يكتب عادة في التوصيات ...

" -يا ناحوم" والسر برسي زكريا كوكس أصدقاء، بل صديقان حميمان؟ مناسبة، لابد وأن يكون هنالك سر في الأمر!! فقررت في نفسي أن استوضحه فيه وأقف عليه واروي ظمأ (حب الاستطلاع) الذي تحرك في نفسي وإلا فسأفقد فرصة نادرة لن تتاح لي مرة أخرى.

- اشلون عرفت كوكس كبل ثلاثين سنة ؟؟ أي والله كبل ثلاثين سنة! حجاية عجيبة يابيج! وأنا والله ماني مخفيها عليك، وراح احجيها إلك مثلما هي...

-ممنون من (أبو)- أبي- بارخ هات كهوة ياولد.

فجاء الخادم بفنجان ثان من القهوة ووضعها أمامه فأخرج ضيفنا السيد ناحوم غليونه الوطني الذي لم تزد قيمته على الانة الواحدة وشرع يحشو بالتبغ وبعد أن اولعه وشرب قليلاً من القهوة عاد فملأ رئتيه بدخان التبغ وقال:

- أنا لاجي خير من "الموصل"

- و"النعم"

- وصنعتي "طبيب أباعر"

- ونعم "الصنعة" وصار لي أربعين سنة وأكثر أروح الى ابن السعود وابن الرشيد آخذ لهم مائة كيس دواء لجرب الإبل وأهديها لهم فيكرموني مقابل ذلك وارجع إلى أهلي

- وأنا من سكنة البصرة- ونعيش بما أنعم به علي هذان الأميران الكريمان وكنت أدعو نفسي (عبد الله) ولا أحد غير الله يعرف أسمي الحقيقي ويعلم بأنني موسوي وأصبحت بحكم التردد الطويل واقف على عادات العشائر ومطلع على أحوالها وخبير بشؤونها واخلاقها ومواطنها في الصيف وفي الشتاء، وعليم بفرق كل عشيرة وأفخاذها الخ ذلك من المعلومات التي جعلتني "خبيراً" في نظرهم و (عرافة) يرجع إليه ...وبقيت على هذه العادة نحو خمسة عشر عاماً دون أن يقع حادث يذكر في أسفاري الى أن خرجت ذات يوم وكان ذلك قبل عشرين عاماً تقريباً من تاريخنا هذا- ونرجو أن لاينسى القارئ بان الحديث هذا جرى عام ١٩٢١- اطلب السفر الى الرياض فحائل كعادتي مع القافلة... وسافرت مع من سافر على بركة الله ووجهتنا "الكويت" أي والله (الكويت) ياالاجي "خير" ولما ابتعدنا عن المدينة وأصبحنا بين تلال الرمال وفي وسط الصحراء قام الركب (يخاوه) يتاخي الى أن كل واحد من المسافرين في القافلة يصبح صديق سفر لآخر نتيجة مدة السفر حتى يتنادما سوية ويتقاسما سراء السفر وضرائه ويأكلا الطعام معاً ويخدما بعضهم بعضاً وتأميناً لهذه الغاية يحدث احتكاك بين الاشخاص يتسألون ...يسأل الواحد الآخر عن وجهة ولده أو عشيرته مثلاً حتى يكون الرجل على بصيرة من حسب ونسب من يعاشره في سفرته هذه؟؟ وبينما كنا سائرين تقدم مني رجل قارب الاربعين يلبس اللباس البدوي وينتعل حذاء زبيريا ويتكلم العربية بلهجة لا تخلو من رطانة أعجمية أزرق العينين أبيض البشرة مشرب بحمرة فتقرب مني وسلم عليّ، فرددت عليه التحية باحسن منها وانتجيت نحوه لأكون على مقربة منه حيث شعرت بالغاية التي توخاها من التقرب مني، وأبتسمت له إذ اخبرته بأني (مدني) لا (بدوي) وانني من الموصل موطناً ومن (البصرة) مسكناً وأن الغاية من سفري هي كذا وكذا ...فلما علم انني من سكان المدن آنس بي ورحب بي ترحيباً حاراً وقدم نفسه لي قائلاً: أنه يدعى "الصاحب" وأنه "سائح" ويروم السياحة في الجزيرة ورغب بتآخٍ معي، والحق اقول أنني لم أتردد لحظة في الترحاب به والتآخي معه نظراً لما لمسته في مخاطبي من علائم النبل وحسن الصورة والهندام ولم يخطر ببالي أن اسأله عن حسبه ونسبه وهب أنني سألته فأن لم يكن ليعجز من الانساب الى قبيلة أو مدينة ...ومالي ولهذا فمتى كنت على الناس وكيلا؟! ...

الأسم الكريم ياخويي

- عبد الله...

-أي والله عبد الله، نعم الاسم ...

-انعم عليك يا (صاحب) ...وبعد هذه المقدمة المألوفة شرعنا نتحادث عن القبائل من حضر وبدو فلما رأى درجة اطلاعي لم يكتم أعجابه بي وسألني كيف توفقت الى هذه المعلومات فانبأته بمهنتي وكيف أنني أسافر كل عام الى نجد فحائل وأقضي فيها بضعة اشهر محملاً باكياس من دواء الجرب ومن ثم أعود الى العراق وأقضي بقية أشهر السنة حتى يحين الوقت في السنة القادمة وهكذا... وبقينا في حديث وسمر حتى حان وقت الغداء فنزلنا من دوابنا وجلست وإياه نتناول الغداء، ومن أحد القواعد المتبعة في مثل هذه الأسفار في البراري والقفار هو أن يقوم أحد المتآخين بالخدمة يوماً ويقوم الثاني بالخدمة في اليوم الآخر حتى يصلان الى مقرهما وبذلك يستريح الواحد منهما استراحة تامة في يومه وتبعاً لهذه القاعدة قمت أنا بواجب الخدمة اعتباراً من اليوم الثاني وتلاه صاحبي في اليوم الذي تلاه وكانت خدمتنا مقتصرة على فك الرحل وتحميله وتهيئة ماء الشرب الخ ...من الخدمات الضرورية التي لا بد منها للمسافر الى أن نفد منا الخبز.

أن الخبز مهما كثر مقداره لا يكفي لسفرة تدوم شهراً من الزمن ولذلك يحمل المسافرون معهم (الصاج) والطحين لصنع الخبز... وقضينا نحو أربعة عشر يوماً في سفرنا هذا ولقينا منه نصباً الى أن كان ذات يوم وكانت "الخدمة" علي ذلك اليوم ...فقمت بتهيئة العجين وأعددت "الصاج" اخبز عليه فنظفته ومسحته واوقدت النار تحته ووضعت عليه الرغيف الأول فالثاني وقبل أن أقلب الرغيف على وجهة الآخر خطر لي أن أدخن فملأت غليوني واشعلته ورحت أتخيل دخانه... وانساني الشيطان تقليب الرغيف فاحترق ولم أشعر بذلك الا بعد أن تصاعدت رائحة الخبز المحروق الى انفي فملأته ...ومن حسن التصادف ان صاحبي (الصاحب) لم يكن على مقربة مني ولقد فاتني أن أذكر لكم أن (خويي) هذا كان يقوم بنصب آلة لا اعرف أسمها ويأخذ الخرائط كلما حططنا رحالنا للاستراحة وفي هذه الساعة أي عندما كنت اقوم بتهيئة الغذاء كان حضرته يأخذ الصور ويرسم الخرائط حسب عادته ولما حان وقت الغداء جاء حضرته وجلس امامي على الأرض- طبعاً- وقمنا نأكل وطعامنا عبارة عن خبز الصاج مع التمر وحليب النوق وكان الغبار يشكل اداما آخر اضافة الى التمر والحليب...

وتشاء الصدفة أن يكون الرغيف المحترق من نصيب صاحبي فلما ذاقه وشعر بالمرارة التفت نحوي وقال: وكنت قد اعلمته باسمي الحقيقي بعد ان وثقت به.

- ياخوي ياناحوم ...ليش خبزك محروك اليوم؟

- أنت بطران؟ تدلل على أمك؟. فابتسم ومكث وتناول رغيفاً آخر غيره وقام يتغدى وانتهينا من الغداء وقمنا بعد ذلك بشد الراحلة والرحال وسافرنا على بركة الله نقضي اناء الليل وأطراف النهار بأخبار الغزو وأقص عليه أغرب وقائعه وأشهر حوادثه وهو ماخوذ يحدثني الى أن وصلنا الرياض فافترقنا حيث قمت انا في ضيافة "الشيخ" انتظر أنعامهم اما هو فسافر الى داخل الجزيرة بعد أن ودعني وداعاً حاراً مؤثراً.

أنعم علي الشيوخ- أي أبن سعود- بما كتبه الله لي من نصيب عندهم فسافرت الى (حائل) وقمت فيها اياماً غير قليلة حتى أذن لي ألامير بالسفر بعد أن تفضل لي بما قسمه الله بدلا من اكياس الدواء التي قدمتها له ورجعت الى العراق دون حادث يذكر.

وفي العام التالي سافرت كعادتي ووصلت الاحساء فحائل دون أن اسمع بخبر الصاحب أو أقف له على أثر ...ورجعت الى أهلي معززاً مكرماً، وبقيت أتردد بين البصرة والعاصمة وحائل فالاحساء حتى الحرب العامة ولما حاولت العودة في أول سفرة من اسفاري التي اعقبت الحرب العامة جهزني الامير ابن الرشد بكتاب الى والي البصرة حول وضعيته ازاء أبن سعود واوصاني بالمحافظة على الكتاب وافهمني اهميته فوعدته بالمحافظة عليه وبحمل جواب اليه من الوالي إذا ما زوده به دون الانتظار لحلول الموسم فشكرني على ذلك ورجعت الى البصرة احث ناقتي على السير، وكان اول عمل قمت به ساعة وصولي الى البصرة أن ذهبت الى السراي وقدمت الكتاب الى الوالي فشكرني كثيراً وامر لي بخمس مجيديات اكرامية ووعدني بكتاب الجواب ورجا مني ان ازوره بعد اسبوع من الزمن فخرجت منه شاكراً لطفه والدنيا لا تكاد تسعني لفرط سروري من هذا المبلغ الذي كان يساوي- يومئذ- في نظري مبلغاً كبيراً.

جئته بعد اسبوع من الزمن حسب الوعد فناولني جناب الوالي كتاباً ضخماً ووضع بيدي ليرة عثمانية ذهباً اجرة البعير على ما يقول وودعني وهو يشجعني على السفر حالاً ورجوع الجواب اليه وأنه إذا ما احضرت له الجواب في الوقت المطلوب فان اكراميتي ستكون اكثر بكثير من السابق فسلمت عليه وخرجت الى الزبير اسأل عن موعد سفر أول قافلة فعلمت أنها مسافرة منتصف الليلة فرجعت الى البصرة وهيات راحلتي وسافرت مع القافلة ووجهتي الرياض ...ولا أطيل عليك البحث ...اصبحت احمل الرسائل من أبن الرشيد الى الوالي ومن الوالي الى أبن الرشيد في اسفاري وإذا حدث هنالك امر مهم كنت اسافر لوحدي دون انتظار سفر القافلة وهكذا حتى سقطت مدينة البصرة بيد الأنكليز...

-تسلم أبا أبو"باروخ" الحق أن قصتك عجيبة...

-بعدما وصلت القسم العجيب بيها يا لا خير اسمع.

- تفضل وبعدين ...

يوم الثالث من سقوط البصرة دخل الجيش الانكليزي المدينة واجتمع الناس أمام سراي البصرة ينتظرون قدوم الحاكم العسكري فوقفت مع الواقفين للتفرج على الجيش وانتظار قدوم الحاكم العسكري ولم يطل بنا الوقوف الا وبحضرته يقدم راكباً حصاناً استرالياً تتبعه الشرطة العسكرية الخيالة فمشى بين صفي الجمهور المحتشد وهو يتفرس في وجوه الناس والناس يتطلعون اليه ولما وصل امام السراي ترجل عن حصانه وصعد الى دائرته وبينما كنت اهم بالابتعاد عن الجمع المحتشد إذا بشرطي انكليزي يمسكني من يدي ويسوقني الى غرفة الحاكم ولا تسئل عما حل بي من الخوف.

ومن تحصل الحاصل ان اقول لك ان رجلي لم تحملاني واصبحت اهتز كسعف نخل في مهب الريح من شدة الخوف...

يهودي يتجسس للاتراك؟ ويحمل الرسائل لهم إلى ابن الرشيد ومنه إلى الوالي!! أيبقى هناك شك بعد كل هذا نتيجة ما انا سائر اليه ولهذا السبب كانت فراضي ترتعد خوفاً.. ولهذا السبب كانت قدماي ترتجفان هولاً ورعباً. ولقد وجدت نفسي امام الحاكم العسكري وجهاً لوجه ولقد انساني هول الموقف السلام عليه ...ولقد زاد في خوفي تفرس الحاكم بي جيداً وتمعنه في تدقيق ملامحي ولما رآني اكاد اموت هلعاً وخوفاً خاطبني بلغة عربية فصيحة قائلاً: ليش خايف ...ما عليك باس لا تخاف ...واردف قوله هذا بذكر اسمي.

- موش انت ناحوم؟.

- أي.. نعم..

- وشغلك طبيب اباعر

- أي نعم...

-تعرفني؟

- انا أعرفك؟ بدالك منين اعرف

- الحاكم؟ وانا لم ار لندن حتى في

- تذكر زين يا ناحوم..

- حرام صاحب وين أعرفك...

-بالك كبل عشرين سنة لما خاويت (صاحب) في سفرتك إلى الاحساء وحائل! فقلت له نعم، وانا لم اتذكر حتى بتلك الساعة (خويي الصاحب) نظراً للذعر الذي كان قد استولى علي.. وعلى اثر ذلك ترك الحاكم منضدته ووقف وسط الغرفة ومد الي يده يصافحني ومن ثم تعانقنا حسب طريقة البدو واخبرني بانه يدعي (برسي كوكس) وانه الحاكم السياسي والعسكري لمدينة البصرة، ولا تسل عن فرحي لا لاني حظيت على صداقة حاكم كبير كالسير برسي كوكس فقط بل لانني نجوت من تهمة أخطر التجسس للاتراك وهي تهمة لا يوجد اخطر منها كما تعلم ولا عقوبة لها غير الاعدام...

تفضل استريح ...قال ذلك واشار إلى الكرسي فجلست.. وامر لي بالقهوة فشربت.

- بعدك تشرب سبيل؟

- أي والله صاحب.

- وبعدك تروح لابن السعود ولابن الرشيد.

فأجبته بالايجاب ولكن كدت اذوب خوفاً من اسم ابن الرشيد خشية انكشاف ستر التجسس لحساب الاتراك.. الا ان رحمة الله الواسعة قد تداركتني حيث سألني صاحبي الصاحب عن موعد سفري إلى الاحساء فقلت له متى ما تشاء...

فقال:

- اريدك تسافر للشيوخ- أي إلى ابن السعود- وتأخذ وياك مكتوب مني

- ممنون وعلى العين والرأس ...وحلت البركة.

- حياك الله. قال ذلك ومد يده إلى ورقة صغيرة فأخذها من الدرج الذي امامه وكتب عليها بضع كلمات بالانكليزية وناولني اياها وقال لي.

- خوذ هذي الوركة وسلمها لمأمور الخزينة... ولما تنوي السفر تعال شوفني وخذ المكتوب للشيوخ، فقمت واخذت الورقة من يده وصافحته بحرارة وخرجت وانا فرح جداً بهذه النتيجة التي لم أكن اتوقعها..

ذهبت إلى مامور الخزينة وناولته الورقة فقال بلهجة العربية المهشمة التي يتكلم بها الهنود.

- أنت جاب كيس لاجل حطك بيك فلوس؟!!

برسي كوكس

- كيس ومنشانيش الجيس؟

- يابا كيس من طرف روبي كسير!

- بدالك اشقد يعنو؟

- انت ما عرف وهشقد مكتوب؟

- لا امنين اعرف انكليزي.

- صاحب اكتب لاجل جناب خمسة الاف روبيات!

- شنقول؟

- خمسة الاف روبيات؟

- خمسة الاف روبية. ارمي يا خبر ابيض.

ولا تسل عن فرط سروري عندما وضعت رزمة كبيرة من الاوراق النقدية ذات الخمسين والمائة روبية في ذيل عباءتي.. وخرجت وانا العن المجيديات وابو المجيديات.

هل يعقل ان اذهب إلى ابن الرشيد بعد ذلك وأخاطر بحياتي من اجل.. من اجل خمس مجيديات اثني عشر روبية ونصف روبية والصاحب يكرمني خمسة الالف روبية آي الفي مجيدي بالضبط دون ان اوصل كتاباً إلى ابن سعود فكيف بنا اذا وصلنا كتاباً إلى الشيوخ واتينا منه بجواب إلى الصاحب. ليقدر حضرتك ذلك ...ولاشك انك لا تلومني اذا ما علمت بمقاطعتي للاتراك وصاحبهم...

سافرت إلى ابن السعود ومعي كتاب من السر برسي كوكس وجيبي ملآن بالاوراق النقدية وعدت إليه بجواب منه، وبقيت اسافر إلى الاحساء كلما احتاج الحاكم إلى ذلك حتى اعلنت الهدنة استتب الامر للانكليز في العراق وقويت شوكة ابن السعود وبعدها لم انقطع عن الاتصال بالسر برسي كوكس رغم كونه قد اصبح المندوب السامي للحكومة البريطانية في العراق فكنت ازوره بين حين وآخر كلما احتجت إلى مساعدة أو انه كان يرسل في طلبي كلما احتاج إلى ارسالي في مهمة.

وأصبحت معروفاً لدى المفتشين الاداريين الانكليز في البصرة وتعرفت على السر كورنواليس واصبحت ازوره من حين لآخر... وكنت استنجد بهما في ايقاف اعتداء مفتشي الكمارك على اولادي وبقيت معززاً مكرماً بسبب صداقتي مع (خوبي الصاحب).. إلى ان تقرر نقل صديقي العزيز من العراق. فذهبت اليه وانا اشد الناس اسفاً لفراقه وكيف لا اسف وانا سأفقد اكبر عون لي- بعد الله- واغزر معين.. جلست والكآبة مرتسمة على محياي وانا حائر لا ادري كيف افتتح الحديث معه.

- اهلاً وسهلاً..

- وبيك يا صاحب..

- شلونك؟ وشلون الأولاد

- الكل بخير.. لكن الأولاد وراك حالهم خراب.. رايح يعتدون عليهم.. ويعزلونهم. لو تعمل معروف. وتنطيني فرد وصية بيدي اوريها للانكريز اللي يجونا إلى البصرة حتى يعرفون انا صديقك وصاحبك...

- أي والله حيك.. غالي وطلب رخيص..

قال ذلك وسحب ورقة من الدرج الذي أمامه وشرع يكتب عليها فقلت له..

صاحب لو تدكها بالمكينة احسن فأجانبي على الفور

- تدلل على أمك...

-وأنت تعرف ماذا قصد بقوله هذا

- نعم لقد ادركت ما قصد الداهية الأنكليزي من هذا الجواب، أنه كان يشير اليك، الى الجواب الذي أجبته به في سفرتكما عندما أعترض على حرقك الخبز حيث قلت له (تدلل على امك)

- أجل هذا هو الواقع لقد كان يقصد ذلك... أي أنه اسرها بنفسه ثلاثين عاماً أو أكثر ولم يرد علي أو يعاتبني بشأنها حتى حان أوانها كما رايت...

وهذه هي الوصية التي كتبها لي يوم سفره ...

تتويج الملك فيصل الاول ملك على العراق